الأسئلة النافعات لتقريب

كشف الشبهات

تأليف

الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب النجدي

رحمه الله

إعداد وتقريب

وليد بن محمد الغربي

حفظه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على إمام المتقين وسيد المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واقتفى أثره إلى يوم الدين وبعد:

فهذه الرسالة (**الأسئلة النافعات لتقريب كشف الشبهات**) تخرج بثوبها الجديد وأسلوبها المفيد لهذا الكتاب المبارك المختصر النافع –في التوحيد لرب العبيد ودحض شبهات اهل الشرك والغلو والتنديد – والذي **قال عنه العلامة سليمان ابن سحمان –من علماء نجد رحمه الله–**

(صنف الشيخ رحمه الله تعالى كشف الشبهات، وذكر الأدلة من الكتاب والسنة على بطلان ما أورده أعداء الله ورسوله من الشبهات، فأدحض حججهم، وبين تهافتهم، وكان كتاباً عظيم النفع على صغر حجمه، جليل القدر انقمع به أعداء الله وانتفع به أولياء الله، فصار علما يقتدي به الموحدون، وسلسبيلاً يرده المهتدون، ومن كوثره يشربون، وبه على أعداء الله يصولون، فلله ما أنفعه من كتاب، وما أوضح حججه من خطاب، لكن لمن كان ذا قلب سليم وعقل راجح مستقيم.) الضياء الشارق في رد شبهات المارق (ص: ٥٧)

وقال الشيخ صالح آل الشيخ في مستهل شرح هذه الرسالة:

وهذه الرسالة موضوعة لبيان حقيقة التوحيد وكشف كل شبهة أدلى بها خصوم الدعوة في مسائل التوحيد وبيان أنّ هذا الأمر حق لا لبس فيه، ومن درس التوحيد حق الدراسة انشرح صدره لهذا الأمر أعظم انشراح، وصار في قلبه من تعظيم الله جل وعلا وتعظيم دعوة التوحيد ما به يستطيع أن يرد على المبطل في هذا الأمر.

ولا شك أنّ إزالة الشبهات وكشف الشبهات من أصول هذا الدين؛ لأن الله جل وعلا رد على المشركين في القرآن ودحض شبهاتِهم وأقوالَهم، قال جل وعلا: ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ﴾ [الشورى:١٦]،

وكل من يجادل بالباطل له حجة وله علم لكن حجته داحضة، وكون الحجة تُدحض هذا أصل في إزالة الشبهة في الدين، فإزالة الشبه التي شبه بها أعداء الملة وأعداء الدين فرض من الفروض في هذه الشريعة وواجب من الواجبات، لا بد أن يوجد من يقوم به وإلا لالتبس الباطل بالحق، وصار هذا يُشبه هذا وضل الناس.

معنى الشبهة: مأخوذة من الاشتباه بالحق كما قال النبي – ﷺ – (ان الحلال بين وان الحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس) متفق عليه فلا يعلم المشتبهات إلا خواص أهل العلم، ثم من استقى من حياض علومهم كلٌ بحسبه،

- سبب الشبهة أحد أمرين: قلة في العلم أو ضعف في البصيرة،
- منهج السلف في البعد عن الشبهات:

كان السلف رحمهم الله يحرصون على التباعد عن الشبه، وهذا منهج قرآني، فإن الله سبحانه وتعالى قد أمر العباد بأن يبعدوا عن الذين يخوضون في آيات الله، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ﴾ [النساء:١٤٠]، وقال جل ذكره: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [الأنعام:٦٨]، والخوض في الشبهات وإيرادها هو من الخوض في آيات الله؛

- فجدير بكل مسلم حريص على النجاة ان يحذر من الشبه وأهلها لأنها من أعظم أسباب الانحراف,

وكل دليل في التحذير من الفتن وبيان خطرها فهو يعني الشبهات على سبيل الأولوية ثم الشهوات بعد ذلك، ففتن الشبهات أخطر من فتن الشهوات لأنها تحمل على العناد والإصرار أكثر مما يكون في الشهوات والله المستعان

وقد قربت هذه الرسالة بأسئلة وأجوبة وتلخيص للمقدمة وللإجابة عن الشبه بترتيب ميسر حتى يسهل حفظها وفهما واللهَ أسأل أن ينفع بها كما نفع بأصلها إنه جواد كريم وبر رحيم والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الأول:

[بيان أن مهمة الرسل الأولى تحقيق توحيد العبادة]

س: ما هو دين جميع الرسل الذي أرسلهم الله به إلى عباده؟

ج: التوحيـد الذي هو حق الله على العبيد. قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[الأنبياء: ٢٥]

س: ما هو تعريف التوحيد؟

ج: اعلم رحمك الله أن التوحيد هو: **إفراد الله سبحانه بالعبادة،** قال تعلى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [النحل: ٥١]

س: من هو أول الرسل إلى أهل الأرض؟

ج: أولهم نوح – عليه السلام – قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣]

س: ما سبب إرسال الله له؟

ج: أرسله الله إلى قومه لما غلوا في الصالحين ودٍّ، وسواع، ويغوث، ونسرٍ [حتى عبدوهم]. قال تعالى: ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا (٢١) وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا (٢٢) وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ [نوح: ٢١ – ٢٤]

س: من هو آخر الرسل؟

ج: آخر الرسل محمد – ﷺ – وهو الذي كسر صور هؤلاء الصالحين [يوم الفتح وكانوا ثلاث مائة وستين صنما كانت حول الكعبة]، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]

س: من هم الذين بعث فيهم محمد – ﷺ – وما صفتهم؟

ج: أرسله الله إلى أناس يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله كثيرا.

من الأدلة على هذا قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: ٣٥] وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣] وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ [التوبة: ٢٨]

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ عُمَرَ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي نَذَرْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَنْ أَعْتَكِفَ لَيْلَةً فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، قَالَ: «فَأَوْفِ بِنَذْرِكَ» متفق عليه، وعن حَكِيمَ بْنَ حِزَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَعْتَقَ فِي الجَاهِلِيَّةِ مِائَةَ رَقَبَةٍ، وَحَمَلَ عَلَى مِائَةِ بَعِيرٍ، فَلَمَّا أَسْلَمَ حَمَلَ عَلَى مِائَةِ بَعِيرٍ، وَأَعْتَقَ مِائَةَ رَقَبَةٍ، قَالَ: فَسَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ أَشْيَاءَ كُنْتُ أَصْنَعُهَا فِي الجَاهِلِيَّةِ كُنْتُ أَتَحَنَّثُ بِهَا – يَعْنِي أَتَبَرَّرُ بِهَا –؟ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَسْلَمْتَ عَلَى مَا سَلَفَ لَكَ مِنْ خَيْرٍ» متفق عليه

ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله [صرفوا لهم العبادة من دون الله]. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]

س: كيف كان شرك الذين أحل – ﷺ – دمائهم وأموالهم؟

ج: كانوا يدعون الله سبحانه وتعالى ليلا ونهارا، ثم منهم من يدعو مثل الملائكة وعيسى ومريم وأناس وغيرهم من الصالحين.

فكانوا يجعلونهم وسائط بينهم وبين الله يقولون نريد منهم التقرب إلى الله ونريد شفاعتهم عنده.

س: لماذا بعث الله محمداً ﷺ؟

ج: بعث الله محمدا – ﷺ – يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم – عليه السلام – ويخبرهم أن هذا التقرب والاعتقاد محض حق لله لا يصلحُ منه شيء لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل فضلا عن غيرهما. فقالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]

س: هل كان المشركون مقرين بتوحيد الربوبية؟

ج: نعم كانوا يشهدون أن الله هو الخالق وحده لا شريك له، وأنه لا يرزق إلا هو، ولا يحيي ولا يميت إلا هو ولا يدبر الأمر إلا هو، وأن جميع السماوات ومن فيهن، والأرضين السبع ومن فيهن كلهم عبيده وتحت تصرفه وقهره.

س: ما الدليل على أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله – ﷺ – كانوا مقرين بالربوبية؟

ج: قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ **[يونس: ٣١]**.

وقوله ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ *سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ **[المؤمنون: ٨٤– ٨٩]** وغير ذلك من الآيات. **وَالْمَلَكُوتُ: مُبَالَغَةٌ فِي الْمُلْكِ بِضَمِّ الْمِيمِ وكسرها. فَهو: الْمُلْكُ الْمُقْتَرِنُ بِالتَّصَرُّفِ فِي مُخْتَلَفِ الْأَنْوَاعِ وَالْعَوَالِمِ لِذَلِكَ جَاءَ بَعْدَهُ (كُلِّ شَيْءٍ). [التحرير والتنوير ١٨/ ١١١]**

س: هل يكفي الإقرار بتوحيد الربوبية دون توحيد الألوهية؟

ج: لا يكفي الإقرار بتوحيد الربوبية دون توحيد الألوهية.

س: لماذا لا يكفي ذلك؟

ج: [لأمور منها:

١– أن المشركين كانوا مقرين بتوحيد الربوبية لكنهم كانوا مشركين في الألوهية الذي من أجله أرسلت الرسل وأنزلت الكتب.

٢– أن الله بين أن ذلك لا يكفي ولا يدخل صاحبه في الإسلام.

٣– أن رسول الله ﷺ قاتل المشركين مع إقرارهم بالربوبية –كما سبق–].

س: ما هو التوحيد الذي دعت إليه الرسل وأبى عن الإقرار به المشركون؟

ج: التوحيد الذي جحدوه هو توحيد العبادة الذي يسميه المشركون في زماننا (الاعتقاد) وذلك لأنهم يفسرون توحيد الألوهية بأنه اعتقاد أن الله تعالى هو الخالق والرازق والمحيي المميت والنافع والضار وحده، ففسروا توحيد الألوهية بنفس معنى توحيد الربوبية، وكأن المصنف – رحمه الله – يريد بهذا الإشارة إلى أن العبرة بالحقائق لا بالأسماء، قال الشيخ ابن سحمان – رحمه الله –: " من المعلوم عند كل عاقل أن حقائق الأشياء لا تتغير بتغير أسمائها، فلا تزول هذه المفاسد بتغير أسمائها، كتسمية عبادة غير الله، توسلاً وتشفعاً، أو تبركاً وتعظيماً للصالحين وتوقيراً، فإن الاعتبار بحقائق الأمور لا بالأسماء والاصطلاحات والحكم يدور مع الحقيقة وجوداً وعدماً لا مع الأسماء "الضياء الشرق٤٠٨ التوضيحات الكاشفات على كشف الشبهات (ص: ٥٤)

س: ما الذي دعا رسول الله ﷺ الناسَ إليه؟

ج: دعاهم إلى إخلاص العبادة لله وحده، كما قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، وقال: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾ **[الرعد: ١٤]**.

س: ما المقصد من قتال النبي ﷺ المشركين؟

ج: قاتلهم النبي ﷺ ليكون الدعاء كله لله، والنذر كله لله، والاستغاثة كلها بالله، وجميع أنواع العبادات كلها لله. قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةُ وَالرَّبِيعُ وَالسُّدِّيُّ وَغَيْرُهُمُ: الْفِتْنَةُ هُنَاكَ الشِّرْكُ وَمَا تَابَعَهُ مِنْ أَذَى الْمُؤْمِنِينَ. [تفسير القرطبي ٢/ ٣٥٤]

س: ما معنى (لا إله إلا الله)؟

ج: أي لا معبود بحق إلا الله، [هذا هو المعنى الصحيح]. قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ [الحج: ٦٢]،[لقمان: ٣٠]

حتى إن كفار قريش كانوا يعلمون هذا المعنى فإن الإله عندهم هو الذي يقصد لأجل هذه الأمور سواء كان ملكا، أو نبيا، أو وليًّا، أو شجرة، أو قبراً، أو جنياً لم يريدوا أن الإله هو الخالق الرازق المدبر،

فإنهم يعلمون أن ذلك لله وحده كما قدمت لك. وإنما يعنون بالإله ما يعني المشركون في زماننا بلفظ (السيد) فأتاهم النبي – ﷺ– يدعوهم إلى كلمة التوحيد وهي (لا إله إلا الله) وقد وضح إمام الدعوة – رحمه الله – عبارته فقال: " وأما قولي: أن الإله الذي فيه السر، فمعلوم أن اللغات تختلف، فالمعبود عند العرب، والإله الذي يسمونه عوامنا " السيد "، و " الشيخ "، و " الذي فيه السر "، والعرب الأولون يسمون الألوهية ما يسميها عوامنا " السر " ؛ لأن السر عندهم هو القدرة على النفع والضر، وكونه يصلح أن يدعي ويرجي ويخاف ويتوكل عليه " التوضيحات الكاشفات على كشف الشبهات (ص: ٦٦)

س: ما المراد بكلمة التوحيد (لا إله إلا الله)؟

ج: المراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها.

والكفار الجهال يعلمون أن مراد النبي – ﷺ– بهذه الكلمة هو (إفراد الله تعالى) بالتعلق و(الكفر) بما يعبد من دونه والبراءة منه، فإنه لما قال – ﷺ– قولوا (لا إله إلا الله) قالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ **[ص: ٥]**.

س: ما معنى (لا إله إلا الله) عند المشركين [المتأخرين]؟

ج: قال المصنف رحمه الله: فإذا عرفت أن جهال الكفار يعرفون ذلك، فالعجب ممن يدعي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفرة، بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني.

والحاذق منهم يظن أن معناه لا يخلق ولا يرزق إلا الله ولا يدبر الأمر إلا الله، فلا خير في رجل جهال الكفار أعلم منه بمعنى (لا إله إلا الله).

خلاصـة: انحرف صنفان من الناس في معنى لا إله إلا الله: صنف ظن أن مجرد قولها يكفي دون معرفة معناها، وما دلت عليه، وصنف آخر، فسرها بأنه لا خالق ولا مالك ولا مدبر إلا الله، وقد بين أهل العلم انحراف هذين الصنفين من الناس، وبينوا الحق في ذلك.[شرح كشف الشبهات لخالد المصلح ٣/ ١، بترقيم الشاملة آليا]

س: ماذا نستفيد من معرفة ما سبق؟

ج: إذا عرفت ما ذكرت لك – معرفة قلب – وعرفت الشرك بالله الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ **[النساء: ٤٨]**. وعرفت دين الله الذي أرسل به الرسل من أولهم إلى آخرهم الذي لا يقبل الله من أحد سواه. وعرفت ما أصبح غالب الناس فيه من الجهل بهذا **أفادك فائدتين:**

الأولى: الفرح بفضل الله ورحمته كما قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ **[يونس: ٥٨]**،

الثانية: الخوف العظيم.

فإنك إذا عرفت أن الإنسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه، وقد يقولها وهو جاهل فلا يعذر بالجهل، وقد يقولها وهو يظن أنها تقربه إلى الله تعالى كما ظن المشركون، خصوصا إن ألهمك الله ما قص على قوم موسى مع صلاحهم وعلمهم أنهم أتوه قائلين: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ **[الأعراف: ١٣٨]**، فحينئذ يعظم خوفك وحرصك على ما يخلصك من هذا وأمثاله.

س: ما الدليل على أن حكمة الله اقتضت أن يجعل لأنبيائه وأوليائه أعداء؟

ج: قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ **[الأنعام: ١١٢]**.

المعنى وكما ابتليناك –أيها الرسول– بأعدائك من المشركين ابتلينا جميع الأنبياء –عليهم السلام– بأعداء مِن مردة قومهم وأعداء من مردة الجن، يُلقي بعضهم إلى بعض القول الذي زيَّنوه بالباطل؛ ليغتر به سامعه، فيضل عن سبيل الله. [التفسير الميسر ١/ ١٤٢

وقد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة وكتب وحجج كما قال الله تعالى ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ **[غافر: ٨٣]**.أي المناقض لدين الرسل.

ومن المعلوم، أن فرحهم به، يدل على شدة رضاهم به، وتمسكهم، ومعاداة الحق، الذي جاءت به الرسل، وجعل باطلهم حقًا، وهذا عام لجميع العلوم، التي نوقض بها، ما جاءت به الرسل، ومن أحقها بالدخول في هذا، علوم الفلسفة، والمنطق اليوناني، الذي رُدَّت به كثير من آيات القرآن، ونقصت قدره في القلوب، وجعلت أدلته اليقينية القاطعة، أدلة لفظية، لا تفيد شيئًا من اليقين، ويقدم عليها عقول أهل السفه والباطل، وهذا من أعظم الإلحاد في آيات الله، والمعارضة لها، والمناقضة، فالله المستعان. [تفسير السعدي ص: ٧٤٤]

س: ما الواجب علينا نحو شبهات أعداء التوحيد؟

ج: الواجب عليك أن تعلم من دين الله ما يصير سلاحا لك تقاتل به هؤلاء الشياطين الذين قال إمامهم ومقدمهم لربك –عز وجل –: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ **[الأعراف: ١٦، ١٧]**.

س: ما سبب النجاة من شبهات أعداء التوحيد؟

ج: إذا أقبلت على الله وأصغيت إلى حجج الله وبيناته فلا تخف ولا تحزن قال تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ **[النساء: ٧٦]**.

س: ما هي النتيجة؟

ج: أن العامي من الموحدين يغلب الألف من علماء هؤلاء المشركين كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ **[الصافات:١٧٣]**،

فجند الله هم الغالبون بالحجة واللسان، كما أنهم الغالبون بالسيف والسنان.

س: من الذي يُخَافُ عليه من هذه الشُبَه؟

ج: إنما الخوف على الموحد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح.

س: ما هي أعظم منةٍ منجية من كل الشُبه؟

ج: قد من الله تعالى علينا بكتابه الذي جعله تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين فلا يأتي صاحب باطل بحجة إلا وفي القرآن ما ينقضها ويبين بطلانها كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ **[الفرقان: ٣٣]** المعنى ولا يأتيك – أيها الرسول – المشركون بحجة أو شبهة إلا جئناك بالجواب الحق وبأحسن بيان له. [التفسير الميسر ١/ ٣٦٣]

. قال بعض المفسرين هذه الآية عامة في كل حجة يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة.

خلاصة المقدمة في سبع قواعد تعين على رد الشبه؟

الأولى : بيان معنى التوحيد الذي هو (إفراد الله بالعبادة) وأنه دين جميع الرسل.

الثانية : أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله –ﷺ– مقرون بأن الله **هو** الخالق المالك المدبر ولم ينفعهم ذلك لأنهم لم يخلصوا العبادة لله وحده.

الثالثة : أن أولئك المشركين يعرفون الله ويعظمونه ويحجون ويعتمرون ويعملون غير ذلك من العبادات ويزعمون أنهم على دين إبراهيم الخليل.

الرابعة: أنهم لا يعبدون غير الله من ملائكة وأنبياء وأولياء لذاتهم **وإنما** ليشفعوا لهم ويقربوهم من الله زلفى.

الخامسة: أن النبي –ﷺ– ظهر في أناس متفرقين في عبادتهم منهم من يعبد الشمس والقمر ومنهم من يعبد الملائكة ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار وغير ذلك فقاتلهم ولم يفرق بينهم.

السادسة: أن المشركين الأولين أعلم بمعنى لا إله إلا الله من مشركي زماننا.

السابعة:إثبات كون شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا (بأمرين)

ولهذا قال المصنف رحمه الله: فإذا عرفت أن هذا الذي يسميه المشركون في زماننا (الاعتقاد) هو الشرك الذي نزل فيه القرآن وقاتل رسول الله – ﷺ – الناس عليه، فاعلم أن شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا **بأمرين:**

أحدهما: أن الأولين يشركون ويدعون الملائكة والأولياء والأوثان مع الله في الرخاء، وأما في الشدة فيخلصون لله الدعاء. كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ **[الإسراء: ٦٧]**

وقوله ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ - بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ **[الأنعام: ٤٠ - ٤١]**

وقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ **[الزمر: ٨]** إلى قوله: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ **[الزمر: ٨]** وقوله: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ **[لقمان: ٣٢]**

فمن فهم هذه المسألة التي وضحها الله في كتابه، وهي أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله - ﷺ - يدعون الله ويدعون غيره في الرخاء، وأما في الضراء والشدة فلا يدعون إلا الله وحده لا شريك له وينسون ساداتهم، تبين له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الأولين، ولكن أين من يفهم قلبه هذه المسألة فهماً راسخاً، والله المستعان.

بل زاد مشركو زماننا على مشركي أهل الجاهلية بأمر ثالث وهو: أنهم اعتقدوا في الموتى وغيرهم أنهم يدبرون الكون ويتصرفون فيه كقول بعضهم في عبد القادر الجيلاني: (سيد السماوات والأرض)، (والنافع الضار) و (ومحيي الموتى) و(ومبرئ الأعمى والأبرص والأكمة)... إلى كثير من أمثال هذه النعوت والألقاب !، أي عين يجمل بها أن تستبقي في محاجرها قطرة واحدة من الدمع فلا تريقها أمام هذا المنظر المحزن: منظر أولئك المسلمين، وهم ركع سجد على أعتاب قبر وضريح وقبة... **التوضيحات الكاشفات على كشف الشبهات (ص: ١٦٨)**

ثانيهما: أن الأولين يدعون مع الله أناسا مقربين عند الله. إما أنبياء، وإما أولياء، وإما ملائكة، أو يدعون أشجارا أو أحجارا مطيعة لله ليست عاصية.

وأهل زماننا يدعون مع الله أناسا من أفسق الناس، والذين يدعونهم هم الذين يحكون عنهم الفجور من الزنا والسرقة وترك الصلاة وغير ذلك. التوضيحات الكاشفات على كشف الشبهات (ص: ١٧٣)

ومن ذلك من يدعو إمام أهل وحدة الوجود ابن عربي، فإن عليه الآن قبة في الشام، قال فيه أبو محمد بن عبد السلام: " هو شيخ سوء مقبوح يقول بقدم العالم ولا يحرم فرجاً، وقال إبراهيم الجعبري: (رأيت ابن عربي وهو شيخ نجس يكذب بكل كتاب أنزله الله وبكل نبي أرسله الله ". مجموع الفتاوى (٢/٢٤٠)

ومنهم من يدعو العفيف التلمساني الذي قال فيه شيخ الإسلام رحمه الله: " التلمساني أعظمهم تحقيقاً لهذه الزندقة والاتحاد التي انفردوا بها ؛ أكفرهم بالله وكتبه ورسله وشرائعه واليوم الآخر ". – مجموع الفتاوى (٢/ ١٧٥) قال ابن القيم رحمه الله في النونية:مثل العفيف التلمساني الذي * هو غاية في الكفر والطغيان.

والذي يعتقد في الصالح أو الذي لا يعصي مثل الخشب والحجر أهون ممن يعتقد فيمن يشاهد فسقه وفساده ويشهد به.

لأن الذي يعتقد في الصالح له شبهة، ويستدل لها من كتاب الله بدليل، كقوله تعالى: (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون)[يونس: ٦٢] وإن كانت هذه الشبهة هي أوهى من بيت العنكبوت، بخلاف الذي يدعو الفاسق الفاجر، بل الكافر الخارج من ملة الإسلام، فهذا ليس له أدنى شبهة، فالأمر فيه بيّن واضح. التوضيحات الكاشفات على كشف الشبهات (ص: ١٧٤)

الشـــروع في ذكر الشبــه والرد عليهــا

س: إلى كم ينقسم الجواب عن الشبهات؟

ج: إلى قسمين: مجمل ومفصل.

س: ما هو الجواب المجمل؟

ج: أما المجمل: فهو الأمر العظيم والفائدة الكبيرة لمن عقلها **وذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧]**

وقد صح عن رسول الله – ﷺ – أنه قال: «إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم».

مثال ذلك: إذا قال بعض المشركين: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ **[يونس: ٦٢]** وأن الشفاعة حق، أو أن الأنبياء لهم جاه عند الله. أو ذكر كلاما للنبي – ﷺ– يستدل به على شيء من باطله وأنت لا تفهم معنى الكلام الذي ذكره.

فجاوبه بقولك: إن الله ذكر في كتابه أن الذين في قلوبهم زيغ يتركون المحكم ويتبعون المتشابه، وما ذكرته لك من أن الله ذكر أن المشركين يقرون بالربوبية وأن كفرهم بتعلقهم على الملائكة والأنبياء والأولياء مع قولهم ﴿هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ **[يونس: ١٨]** هذا أمر محكم بين لا يقدر أحد أن يغير معناه.

وما ذكرت لي أيها المشرك من القرآن أو كلام النبي – ﷺ– لا أعرف معناه، ولكن أقطع أن كلام الله لا يتناقض، وأن كلام النبي – ﷺ– لا يخالف كلام الله.

وهذا جواب جيد سديد، ولكن لا يفهمه إلا من وفقه الله فلا تستهن به فإنه كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ **[فصلت: ٣٥]**

س: ما هو الجواب المفصل؟

ج: وأما الجواب المفصل: فإن أعداء الله لهم اعتراضات كثيرة على دين الرسل يصدون بها الناس عنه، منها:

(الشبهـــة الأولـــى)

قولهم: نحن لا نشرك بالله بل نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا – ﷺ– لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا فضلا عن عبد القادر أو غيره ولكن أنا مذنب، والصالحون لهم جاه عند الله وأطلب من الله بهم؟

الجـــواب:

بما تقدم وهو: أن الذين قاتلهم رسول الله – ﷺ– مقرون بما ذكرت، ومقرون أن أوثانهم لا تدبر شيئا، وإنما أرادوا الجاه والشفاعة، واقرأ عليه ما ذكره الله في كتابه ووضحه، كقوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا﴾ [يونس: ١٨]

(الشبهـــة الثانيـــة)

فإن قال: هؤلاء الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام كيف تجعلون الصالحين مثل الأصنام؟ أم كيف تجعلون الأنبياء أصناما؟

الجـــواب:

بما تقدم.

فإنه إذا أقر أن الكفار يشهدون بالربوبية كلها لله، وأنهم ما أرادوا ممن قصدوا إلا الشفاعة، ولكن إذا أراد أن يفرق بين فعله وفعلهم بما ذكر فاذكر له [**أن الكفار منهم من يدعو الأصنام، ومنهم من يدعو الأولياء**] الذين قال الله فيهم: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ **[الإسراء: ٥٧]** ويدعون عيسى ابن مريم وأمه وقد قال تعالى:

﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ – قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ **[المائدة: ٧٥ – ٧٦]**

واذكر له قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ – قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ **[سبأ: ٤٠ – ٤١]** وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ **[المائدة: ١١٦]**

(الشبهـــة الثالثـــة)

فإن قال: الكفار يريدون منهم، وأنا أشهد أن الله هو النافع الضار المدبر لا أريد إلا منه، والصالحون ليس لهم من الأمر شيء ولكن أقصدهم أرجو من الله شفاعتهم.

فالجـــواب:

أن هذا قول الكفار سواء بسواء واقرأ عليه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ **[الزمر: ٣]**

وقوله تعالى ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ **[يونس: ١٨]**

واعلم أن هذه الشبه الثلاث هي أكبر ما عندهم، فإذا عرفت أن الله وضحها لنا في كتابه وفهمتها فهما جيدا فما بعدها أيسر منها.

(الشبهـــة الرابعـــة)

فإن قال: أنا لا أعبد إلا الله وهذا الالتجاء إلى الصالحين ودعاؤهم ليس بعبادة.

سلك المصنف – رحمه الله – إزاء هذه الشبهة، مسلك التدرج مع الخصم، والانتقال مما هو متفق عليه مع الخصم، إلى ما هو مختلف فيه، وجعل المجمع عليه دليلاً على المختلف فيه، وتبين – من خلال هذا المسلك – ظهور حجة المصنف وقوة إلزامه.التوضيحات الكاشفات على كشف الشبهات (ص: ١٣١)

إذاً فالجـــواب عنها متسلسل على خطوات كالتالي:

الأولى: قل له أنت تقر أن الله فرض عليك إخلاص العبادة لله وهو حقه عليك.[قال تعالى: (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء) [البينة: ٥] وفي حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه: (.. حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً...)متفق عيه

فإذا قال: نعم.

قل له: بين لي هذا الذي فرض عليك وهو إخلاص العبادة لله وحده وهو حقه عليك؟

فإن كان لا يعرف العبادة ولا أنواعها فبينها له بقولك: قال الله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥]

المصنف رحمه الله أراد تعريف العبادة لهذا المشرك بالمثال ؛ لأن التعريف بالمثال أقرب للفهم من غيره، واختار المؤلف هذه الآية دون غيرها لأنها تخص عبادة الدعاء ؛ إذ ينكر هذا المشرك أن يكون دعاء الصالحين من العبادة، التوضيحات الكاشفات على كشف الشبهات (ص: ١٣٤)

قال شيخ الإسلام – رحمه الله –: " العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة " العبودية (ص: ٤٤)

فإذا أعلمته بهذا، فقل له هل علمت هذا أنه عبادة الله؟

فلا بد أن يقول: نعم. والدعاء مخ العبادة.

الثانيـة: قل له: إذا أقررت أنها عبادة ودعوت الله ليلا ونهارا خوفا وطمعا ثم دعوت في تلك الحاجة نبيا أو غيره هل أشركت في عبادة الله غيره؟

فلا بد أن يقول: نعم.

الثالثة: قل له فإذا عملت بقول الله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ **[الكوثر: ٢]** وأطعت الله ونحرت له هل هذا عبادة؟

فلا بد أن يقول: نعم.

قل له: فإن نحرت لمخلوق نبي أو جني أو غيرهما هل أشركت في هذه العبادة غير الله؟

فلا بد أن يقر ويقول: نعم.

الرابعة: قل له أيضا: المشركون الذين نزل فيهم القرآن، هل كانوا يعبدون الملائكة والصالحين واللات وغير ذلك؟

فلا بد أن يقول: نعم.

فقل له: وهل كانت عبادتهم إياهم إلا في الدعاء والذبح، والالتجاء ونحو ذلك؟

وإلا فهم مقرون أنهم عبيده وتحت قهره،

وأن الله هو الذي يدبر الأمر ولكن دعوهم والتجأوا إليهم للجاه والشفاعة وهذا ظاهر جدا.

وملخص جواب المصنف – رحمه الله – هنا: أن يُسأل الخصم عن معنى العبادة، فإنه لا يعرفها، فيبين له بالمثال، فيقال له: إذا دعوت الله تعالى، فهل تكون بذلك عبدته؟ فلا بد أن يقول: نعم لأن الدعاء عبادة، فيقال له: كذلك إذا دعوت غير الله تكون بذلك عبدت غيره، لأن الدعاء عبادة. وهكذا يقال في الذبح والالتجاء ونحو ذلك. التوضيحات الكاشفات على كشف الشبهات (ص: ١٣٢)

(الشبهـــة الخامســـة)

فإن قال :أتنكر شفاعة النبي – صلى الله عليه وسلم – وتتبرأ منها؟

الجـواب :

قل :لا أنكرها، ولا أتبرأ منها، بل هو –ﷺ– الشافع المشفع وأرجو شفاعته، **ولكـن الشفاعة كلها لله** كما قال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا] ﴿**الزمر٤٤ [ولا تكون إلا من بعد إذن الله،** كما قال – عز وجل :– ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ **[البقرة: ٢٥٥]**

ولا يشفع في أحد إلا من بعد أن يأذن الله فيه كما قال – عز وجل :– ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ **[الأنبياء: ٢٨]**

وهو لا يرضى إلا التوحيد كما قال – عز وجل: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ **[آل عمران: ٨٥]**

فإذا كانت الشفاعة كلها لله، ولا تكون إلا من بعد إذنه، ولا يشفع النبي –ﷺ– ولا غيره في أحد حتى يأذن الله فيه، ولا يأذن إلا لأهل التوحيد.

تبين لك أن الشفاعة كلها لله فأطلبها منه فأقول : اللهم لا تحرمني شفاعته، اللهم شفعه في، وأمثال هذا.

فائدة: الشفاعة والوسيلة هي البوابة التي يدخل منها المشركون قديماً وحديثاً وهنالك ثلاثة أصول لو فهمت أزالت الشرك من جذوره كما قال تعالى في الأصل الأول: (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) [البقرة: ٢٥٥] وفي الأصل الثاني: (ولا

يشفعون إلا لمن ارتضى) [الأنبياء: ٢٨]. وبقي أصل ثالث: وهو أنه لا يرضى من القول والعمل إلا التوحيد واتباع الرسول... فهذه ثلاثة أصول تقطع شجرة الشرك من قلب من وعاها وعقلها, انظر[مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ١/ ٣٥٠]

ويقول الشيخ أحمد بن عيسى – في بيان أن الشفاعة ملك لله وحده –: ((قد أخبر تعالى أن الشفاعة جميعها له، فمن طلبها من غير الله، فقد طلبها ممن لا يملكها، ولا يسمع ولا يستجيب، وفي غير الوقت الذي تقع فيه، ولا قدرة له عليها، إلا برضاه ممن هي له، وإذنه فيها وقبوله، فطلبها ممن هي له في دار العمل عبادة من جملة العبادات، وصرف ذلك الطلب لغيره شرك عظيم)) الرد على شبهات المستعينين بغير الله ص ٤٥.

ئئئئئ (الشبهـــــة السادســـــة)

فإن قال :النبي –ﷺ – أعطي الشفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه الله.؟

فالجـواب:

أولا : إن الله أعطاه الشفاعة ونهاك عن هذا فقال : ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ **[الجن: ١٨]**

فإذا كنت تدعو الله أن يشفع نبيه فيك فأطعه في قوله: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ **[الجن: ١٨]**

ثانياً: إن الشفاعة أعطيها غير النبي –ﷺ – فصح أن الملائكة يشفعون والأولياء يشفعون والأفراط يشفعون.

أتقول: إن الله أعطاهم الشفاعة فأطلبها منهم؟

فإن قلت هذا رجعت إلى عبادة الصالحين التي ذكر الله في كتابه، وإن قلت :لا، بطل قولك :أعطاه الله الشفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: **فلا يملك مخلوق الشفاعة بحال، ولا يتصور أن يكون نبي فمن دونه مالكا لها، بل هذا ممتنع، كما يمتنع أن يكون خالقاً وربا، وهذا كما قال: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ فنفى الملك مطلقا، ثم قال: ﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ: ٢٢، ٢٣]، فنفى نفع الشفاعة إلا لمن استثناه، لم يثبت أن مخلوقا يملك الشفاعة، بل هو سبحانه له الملك وله الحمد، لا شريك له في الملك، قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ**

لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ١، ٢]. [الحسنة والسيئة ص: ١٤٨]

أخيراً يقال: لا دليل صحيح صريح على جواز طلب الشفاعة من النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته، ولذا قال المصنف: " القائل أنه يطلب الشفاعة بعد موته يورد علينا الدليل من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو من اجتماع الأمة، والحق أحق أن يتبع " مؤلفا ت الشيخ ٤٨/٥. التوضيحات الكاشفات على كشف الشبهات (ص: ١٤٦)

(الشبهـــة السابعـــة)

فإن قال :أنا لا أشرك بالله شيئا حاشا وكلا .ولكن الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك؟

الجـواب:

قل له :إذا كنت تقر أن الله حرم الشرك أعظم من تحريم الزنا وتقر أن الله لا يغفره فما هذا الأمر الذي حرمه الله وذكر أنه لا يغفره؟

فإنه لا يدري.

فقل له :كيف تبرئ نفسك من الشرك وأنت لا تعرفه؟

أم كيف يحرم الله عليك هذا ويذكر أنه لا يغفره ولا تسأل عنه ولا تعرفه؟ أتظن أن الله يحرمه ولا يبينه لنا؟

(الشبهـــة الثامنـــة)

فإن قال :الشرك عبادة الأصنام، ونحن لانعبد الأصنام؟

الجـواب:

أولاً: قل له : ما معنى عبادة الأصنام؟

أتظن أنهم يعتقدون أن تلك الأخشاب والأحجار تخلق وترزق وتدبر أمر من دعاها؟!!

فهذا يكذبه القرآن.

وإن قال :هو من قصد خشبة أو حجرا أو بنية على قبر أو غيره يدعون ذلك ويذبحون له ويقولون إنه يقربنا إلى الله زلفى ويدفع الله عنا ببركته أو يعطينا ببركته؟

فقل : صدقت، وهذا هو فعلكم عند الأحجار والأبنية التي على القبور وغيرها، فهذا أقر أن فعلهم هذا هو عبادة الأصنام، فهو المطلوب.

ثانيـاً : يقال له أيضا : قولك الشرك عبادة الأصنام هل مرادك أن الشرك مخصوص بهذا، وأن الاعتماد على الصالحين ودعاءهم لا يدخل في ذلك؟

فهذا يرده ما ذكره الله في كتابه من كفر من تعلق على الملائكة وعيسى والصالحين،

فلا بد أن يقر لك أن من أشرك في عبادة الله أحدا من الصالحين فهو الشرك المذكور في القران، وهذا هو المطلوب

وسر المسألة يعني خالص وحاصل الأجوبة عن الشبهة الثامنة هو أن هذا المشرك لا يخلو من حالات

:أنه إذا قال :أنا لا أشرك بالله.

فقل له : وما الشرك بالله، فسره لي؟

فإن قال : هو عبادة الأصنام.

فقل: وما معنى عبادة الأصنام، فسرها لي؟

فإن قال : أنا لا أعبد إلا الله وحده.

فقل: ما معنى عبادة الله وحده، فسرها لي؟

فإن فسرها بما بينه القرآن فهو المطلوب، وإن لم يعرفه فكيف يدعي شيئا وهو لا يعرفه. **وهذا ما يسمى بالجهل المركب – وبهذا وأمثاله أصيبت الأمة ؛ فإن مثل هذا قد يضل بسببه فئام من الناس: إما لجاهه، أو لماله،.. وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العلماء، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يُبْقِ عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا) التوضيحات الكاشفات على كشف الشبهات (ص: ١٥٧)**

وإن فسر ذلك بغير معناه بينت له الآيات الواضحات في معنى الشرك بالله وعبادة الأوثان، وأنه الذي يفعلونه في هذا الزمان بعينه، وأن عبادة الله وحده لا شريك له هي التي ينكرون علينا ويصيحون فيه كما صاح إخوانهم حيث قالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥] **وأن الذي يفعلونه في زمانهم هو الشرك الذي وقع فيه المشركون الذين قاتلهم النبي صلى الله عليه وسلم ؛ قال تعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) [زلفى: ٣] وقال تعالى: (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون * وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداءً وكانوا بعادتهم كافرين) [الأحقاف:٥، ٦]، وقال تعالى: (فلا تدعوا مع الله أحداً) [الجن: ١٨]. التوضيحات الكاشفات على كشف الشبهات (ص: ١٥٨)**

قال ابن القيم: " فالشرك والكفر هو شرك وكفر لحقيقته ومعناه لا لاسمه ولفظه ؛ فمن سجد لمخلوق وقال: ليس هذا بسجود له هذا خضوع وتقبيل الأرض بالجبهة، أو هذا إكرام ؛ لم يخرج بهذه الألفاظ عن كونه سجوداً لغير الله، وكذلك من ذبح للشيطان ودعاه واستعاذ به وتقرب إليه بما يحب فقد عبده وإن لم يسم عبادة "بدائع الفوائد(٢/٢٣٥)

(الشبهــة التــاسعة)

فإن قال :إنهم لا يكفرون بدعاء الملائكة والأنبياء وإنما يكفرون لما قالوا، الملائكة بنات الله فإنا لم نقل عبد القادر ابن الله ولا غيره.

فالجـواب الأول:

أن نسبة الولد إلى الله كفر مستقل، قال الله تعالى :﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ *﴾

والأحد الذي لا نظير له،ولا يطلق هذا اللفظ على أحد في الإثبات إلا على الله عز وجل، لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله "تفسير ابن كثير لسورة الإخلاص. والصمد المقصود في الحوائج، فمن جحد هذا فقد كفر، ولو لم يجحد السورة.

الجواب الثاني :في قول الله تعالى :﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾ **[المؤمنون: ٩١]**

ففرق بين النوعين، وجعل كلا منهما كفرا مستقلا، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾ **[الأنعام: ١٠٠]**، ففرق بين كفرين.

الجواب الثالث: أن الذين كفروا بدعاء اللات مع كونه رجلا صالحا لم يجعلوه ابن الله، والذين كفروا بعبادة الجن لم يجعلوهم كذلك.

الجواب الرابع: وكذلك أيضا العلماء في جميع المذاهب الأربعة يذكرون في باب حكم المرتد (أن المسلم إذا زعم أن لله ولدا فهو مرتد،) ويفرقون بين النوعين، وهذا في غاية الوضوح.

(الشبهـــة العاشـــرة)

وإن قال :﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس [62 :]

الجـواب:

فقل هذا هو الحق، ولكن لا يُعْبَدون.

ونحن لم ننكر إلا عبادتهم مع الله وشركهم معه، وإلا فالواجب عليك حبهم واتباعهم والإقرار بكرامتهم.

ولا يجحد كرامات الأولياء إلا أهل البدع والضلال

ودين الله وسط بين طرفين، وهدى بين ضلالتين، وحق بين باطلين.

(الشبهـة الحاديـة عشـرة)

إذا تحققت أن الذين قاتلهم رسول الله – ﷺ– أصح عقولا وأخف شركا من هؤلاء. فاعلم أن لهؤلاء (شبهة) يوردونها على ما ذكرنا، وهي من أعظم شبههم، فأصغ سمعك لجوابها.

وهي أنهم يقولون: إن الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن (لا إله إلا الله)، ويكذبون الرسول – ﷺ– وينكرون البعث، ويكذبون القرآن ويجعلونه سحرا.

ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ونصدق القرآن، ونؤمن بالبعث، ونصلي، ونصوم. فكيف تجعلوننا مثل أولئك؟

فالجـــواب:

أولاً: إنه لا خلاف بين العلماء كلهم أن الرجل إذا صدق رسول الله –ﷺ – في شيء وكذبه في شيء أنه كافر لم يدخل في الإسلام،

ثانياً: وكذلك إذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه، كمن أقر بالتوحيد وجحد وجوب الصلاة، أو أقر بالتوحيد والصلاة وجحد وجوب الزكاة، أو أقر بهذا كله وجحد الصوم، أو أقر بهذا كله وجحد الحج.

- ولما لم ينقد أناس في زمن النبي – ﷺ – للحج، أنزل الله في حقهم: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ **[آل عمران: ٩٧]**
- ما ساقه المؤلف رحمه من أن سبب نزول هذه الآية أن أناساً في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينقادوا للحج لم أجده في كتب التفسير وكتب أسباب النزول، وربما أراد المصنف ما ذكره الإمام ابن جرير في تفسيره عن الضحاك في قوله: (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً) قال: " لما نزلت آية الحج جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الأديان كلهم فقال: يا أيها الناس، إن الله عز وجل كتب عليكم الحج فحجوا،فآمنت به ملة واحدة، وهي من صدق النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به، وكفرت به خمس ملل قالوا: لا نؤمن به ولا نصلي إليه ولا نستقبله، فأنزل الله عز وجل (ومن كفر فإن الله غني عن العالمين) تفسير ابن جرير (٢٠/٤).

وأخرج أيضاً من حديث عكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله عز وجل (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً) [آل عمران: ٨٥]" فقالت الملل:نحن مسلمون، فأنزل الله عز وجل (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين) فحج المؤمنون، وقعد الكافرون). أنظر: مجموع الفتاوى (٢٣١/٣).

فلعل المصنف قصد هذه الأسباب والله تعالى أعلم. التوضيحات الكاشفات على كشف الشبهات (ص: ١٨١)

- ومن أقر بهذا كله وجحد البعث كفر بالإجماع، وحل دمه وماله كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا – أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ **[النساء: ١٥٠ – ١٥١]**
- فإذا كان الله قد صرح في كتابه أن من آمن ببعض وكفر ببعض فهو الكافر حقا، وأنه يستحق ما ذكر، زالت الشبهة. وهذه هي التي ذكرها بعض أهل الإحساء في كتابه الذي أرسله إلينا.

ثالثا: يقال إن كنت تقر أن من صدق الرسول في كل شيء، وجحد وجوب الصلاة أنه كافر حلال الدم والمال بالإجماع، وكذلك إذا أقر بكل شيء إلا البعث، وكذلك لو جحد وجوب صوم رمضان وصدق بذلك كله

لا تختلف المذاهب فيه، وقد نطق به القرآن كما قدمنا.

فمعلوم أن التوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النبي – ﷺ – وهو أعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحج فكيف إذا جحد الإنسان شيئا من هذه الأمور كفر، ولو عمل بكل ما جاء به الرسول،

وإذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل كلهم لا يكفر،؟ سبحان الله ! ما أعجب هذا الجهل.

رابعاً: يقال هؤلاء أصحاب رسول الله – ﷺ – قاتلوا بني حنيفة، وقد أسلموا مع النبي – ﷺ– وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ويؤذنون ويصلون.

فإن قال: إنهم يقولون: إن مسيلمة نبي،! فقل: هذا هو المطلوب، إذا كان من رفع رجلا إلى رتبة النبي – ﷺ – كفر وحل ماله ودمه ولم تنفعه الشهادتان ولا الصلاة، فكيف بمن رفع شمسان أو يوسف، أو صحابيَاَ، أو نبيا إلى مرتبة جبار السماوات والأرض سبحان الله ما أعظم شأنه ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ **[الروم: ٥٩]**

خامساً: يقال الذين حرقهم علي بن أبي طالب – – ﷺ– – بالنار كلهم يدعون الإسلام، وهم من أصحاب علي، وتعلموا العلم من الصحابة، ولكن اعتقدوا في علي مثل الاعتقاد في يوسف وشمسان وأمثالهما، فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم، أتظنون أن الصحابة يكفرون المسلمين أم تظنون أن الاعتقاد في " تاج " وأمثاله لا يضر، والاعتقاد في " علي بن أبي طالب " يكفر. **أثر علي بن أبي طالبٍ رضي الله عنه هذا أخرجه البخاري من حديث عكرمة أن علياً رضي الله عنه حرق قوماً فبلغ ابن عباس فقال: " لو كنت أنا لم أحرقهم لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا تعذبوا بعذاب الله) ولقتلتهم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "من بدل دينه فاقتلوه " (١). قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح: "زعم أبو المظفر الإسفراييني في الملل والنحل أن الذين أحرقهم علي طائفة من الروافض ادعوا فيه الإلهية – وهم السبئية – وكان كبيرهم عبد الله بن سبأ يهودياً ثم أظهر الإسلام، وابتدع هذه المقالة، وهذا يمكن أن يكون أصله ما رويناه في الجزء الثالث من حديث أبي طاهر المخلص من طريق عبد الله بن شريك العامري عن أبيه قال: (قيل لعلي: إن هنا قوماً على باب المسجد يدعون أنك ربهم، فدعاهم فقال لهم: ويلكم إنما أنا عبد مثلكم آكل الطعام كما تأكلون وأشرب كما تشربون، إن أطعت الله أثابني إن شاء، وإن عصيته خشيت أن يعذبني، فاتقوا الله وارجعوا، فأبوا فلما كان الغد غدوا عليه، فجاء قنبر فقال: قد والله رجعوا يقولون ذلك الكلام، فقال: أدخلهم، فقالوا كذلك، فلما كان الثالث قال: لئن قلتم ذلك لأقتلنكم بأخبث قتلة، فأبوا إلا ذلك، فقال: يا قنبر ائتني بفَعَلَة معهم مرورهم، فخد لهم أخدوداً بين باب المسجد والقصر وقال: احفروا فأبعدوا في الأرض، وجاء بالحطب فطرحه بالنار في الأخدود وقال: إني طارحكم فيها أو ترجعون، فأبوا أن يرجعوا فقذف بهم فيها حتى إذا احترقوا قال: إني إذا رأيت أمراً منكراً أوقدت ناري ودعوت قنبرأ. فتح الباري (١٢/ ٢٧٠)، وقال عن سند القصة: (هذا سند حسن). وأما مسألة تحريقهم بالنار فقد قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٣٣/١٣): (.... الذي قاله بن عباس هو مذهب أكثر الفقهاء...). التوضيحات الكاشفات على كشف الشبهات (ص: ١٩٥)**

قوله: (فكيف بمن رفعَ شمسانَ أو يوسفَ): قال الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله عند سُئل عن هؤلاء فأجاب بقوله: " يوسف وشمسان وتاج أسماء أناس كفرة طواغيت... فأما تاج فهو من أهل الخرج تُصرف إليه النذور ويُدعى ويعتقد فيه النفع والضر، وكان يأتي إلى أهل الدرعية من بلده الخرج لتحصيل ما له من النذور، وقد كان يخافه كثير من الناس الذين يعتقدون فيه، وله أعوان وحاشية لا يتعرض لهم بمكروه، بل يدعي فيهم الدعاوى الكاذبة، وتنسب إليهم الحكايات القبيحة. ومما ينسب إلى تاج أنه أعمى ويأتي من بلده الخرج من غير قائد يقوده.

وأما شمسان فالذي يظهر من رسائل إمام الدعوة رحمه الله أنه لا يبعد عن العارض، وله أولاد يُعتقد فيهم.

وأما يوسف فقد كان قبره وثن يعتقد فيه ويظهر أن قبره في الكويت أو الأحساء، كما يفهم من بعض رسائل الشيخ رحمه الله. أما تاريخ وجودهم فهو قريب من عصر إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وقد ذكرهم في كثير من رسائله لأنهم من أشهر الطواغيت التي يعتقد فيها أهل نجد وما يقاربها، وكانوا يعتقدون فيهم الولاية ويصرفون لهم شيئاً من العبادة، وينذرون لهم النذور، ويرجون بذلك نظير ما يرجوه عُبّاد اللات والعزى " فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم (١/١٣٤) (التوضيحات الكاشفات على كشف الشبهات (ص: ١٩٠)

سادساً: يقال بنو عبيد القداح الذين ملكوا المغرب ومصر في زمان بني العباس كلهم يشهدون أن (لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله) ويدعون الإسلام، ويصلون الجمعة والجماعة، فلما أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء دون ما نحن فيه أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم، وأن بلادهم بلاد حرب، وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين. بنو عبيد القداح المسمون كذباً وزوراً بالفاطميين، ظهروا على رأس المائة الثالثة ؛ فادعى عبيد الله أنه من آل علي من ذرية فاطمة ؛ قال الذهبي رحمه الله: " عبيد الله أبو محمد، أول من قام من الخلفاء الخوارج العبيدية الباطنية الذين قلبوا الإسلام ؛ أعلنوا بالرفض، وأبطنوا مذهب الإسماعيلية، وبثوا الدعاة، يستغوون الجبلية والجهلة، وادعى هذا المدبر أنه فاطمي من ذرية جعفر الصادق.. " وقال عنه أيضاً: " وفي نسب المهدي أقوال حاصلها أنه ليس بهاشمي ولا فاطمي، وكان موته في نصف ربيع الأول سنة اثنتين وثلاثمائة، وله اثنتان وستون سنة. وكانت دولته خمساً وعشرين سنة وأشهراً " سير أعلام النبلاء (١٥/ ١٤١- ١٥١). قال الذهبي رحمه الله: " قال القاضي عياض: أجمع العلماء بالقيروان أن حال بني عبيد حال المرتدين والزنادقة " وقال أيضاً: " وقد أجمع علماء المغرب على محاربة آل عبيد لما شهروه من الكفر الصراح الذي لا حيلة فيه.." السبر (١٥ /١٥١ -١٥٥)

سابعاً: ويقال أيضا: إذا كان الأولون لم يكفروا إلا لأنهم جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسول والقرآن وإنكار البعث وغير ذلك، فما معنى الباب الذي ذكره العلماء في كل مذهب " باب حكم المرتد " وهو المسلم الذي يكفر بعد إسلامه. ثم ذكروا أنواعا

كثيرة، كل نوع منها يكفر ويحل دم الرجل وماله حتى أنهم ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها، مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه، أو كلمة يذكرها على وجه المزح واللعب.

ثامناً: ويقال أيضا: الذين قال الله فيهم ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ **[التوبة: ٧٤]** أما سمعت الله كفرهم بكلمة مع كونهم في زمن رسول الله – ﷺ – ويجاهدون معه ويصلون ويزكون ويحجون ويوحدون. وكذلك الذين قال الله فيهم: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ – لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ **[التوبة: ٦٥ – ٦٦]**

فهؤلاء الذين صرح الله فيهم أنهم كفروا بعد إيمانهم وهم مع رسول الله – ﷺ – في غزوة تبوك قالوا كلمة ذكروا أنهم قالوها على وجه المزح، فتأمل هذه الشبهة وهي قولهم تكفرون من المسلمين أناسا يشهدون أن (لا إله إلا الله) ويصلون ويصومون، ثم تأمل جوابها، فإنه من أنفع ما في هذه الأوراق.

تاسعا: ومن الدليل على ذلك أيضا ما حكى الله عن بني إسرائيل مع إسلامهم وعلمهم وصلاحهم، أنهم قالوا لموسى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة. وقول أناس من الصحابة: «اجعل لنا ذات أنواط فحلف النبي – ﷺ – أن هذا نظير قول بني إسرائيل، اجعل لنا إلها». عَن أبي واقدٍ اللَّيْثِيّ صحيح ظلال الجنة (٧٦)

(الشبهة الثانية عشرة !)

ولكن للمشركين شبهة يدلون بها عند هذه القصة،

وهي أنهم يقولون: إن بني إسرائيل لم يكفروا، وكذلك الذين قالوا اجعل لنا ذات أنواط لم يكفروا؟

فالجواب:

أولاً: أن نقول: إن بني إسرائيل لم يفعلوا ذلك، وكذلك الذين سألوا النبي – ﷺ – لم يفعلوا ذلك،

ثانياً: لا خلاف أن بني إسرائيل لو فعلوا ذلك لكفروا. وكذلك لا خلاف في أن الذين نهاهم النبي – ﷺ – لو لم يطيعوه واتخذوا ذات أنواط بعد نهيه لكفروا، وهذا هو المطلوب،

س: ماذا نستفيد من هذه القصة؟

ج: ١– هذه القصة تفيد أن المسلم بل العالم قد يقع في أنواع من الشرك لا يدري عنها فتفيد التعلم والتحرز،

٢– معرفة أن قول الجاهل (التوحيد فهمناه) أن هذا من أكبر الجهل ومكائد الشيطان.

٣- وتفيد أيضا أن المسلم المجتهد إذا تكلم بكلام كفر وهو لا يدري فنبه على ذلك فتاب من ساعته أنه لا يكفر كما فعل بنو إسرائيل، والذين سألوا النبي - ﷺ -

٤- تفيد أيضا أنه لو لم يكفر فإنه يغلظ عليه الكلام تغليظا شديدا كما فعل رسول الله - ﷺ -

(الشبهــة الثالثــة عشــرة !)

وللمشركين شبهة أخرى يقولون: إن النبي - ﷺ - أنكر على أسامة قتل من قال: (لا إله إلا الله). وكذلك قوله: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا (لا إله إلا الله) » وأحاديث أخرى في الكف عمن قالها.

ومراد هؤلاء الجهلة أن من قالها لا يكفر، ولا يقتل ولو فعل ما فعل.

الجــواب:

يقال لهؤلاء المشركين الجهال: معلوم أن رسول الله - ﷺ - قاتل اليهود وسباهم وهم يقولون (لا إله إلا الله).

- وأن أصحاب رسول الله - ﷺ - قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ويصلون ويدعون الإسلام،

وكذلك الذين حرقهم علي بن أبي طالب بالنار،

- وهؤلاء الجهلة مقرون أن من أنكر البعث كفر وقتل ولو قال: (لا إله إلا الله) وأن من جحد شيئا من أركان الإسلام كفر وقتل ولو قالها، فكيف لا تنفعه إذا جحد فرعا من الفروع، وتنفعه إذا جحد التوحيد الذي هو أصل دين الرسل ورأسه،
- ولكن أعداء الله مّا فهموا معنى الأحاديث. فأما حديث أسامة، فإنه قتل رجلا ادعى الإسلام بسبب أنه ظن أنه ما ادعى الإسلام إلا خوفا على دمه وماله. والرجل إذا أظهر الإسلام وجب الكف عنه حتى يتبين منه ما يخالف ذلك، وأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾ **[النساء: ٩٤]** أي فتثبتوا. فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه والتثبت، فإذا تبين منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام قتل لقوله تعالى: ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ ولو كان لا يقتل إذا قالها لم يكن للتثبت معنى.
- وكذلك الحديث الآخر وأمثاله، معناه ما ذكرناه أن من أظهر التوحيد والإسلام وجب الكف عنه، إلى أن يتبين منه ما يناقض ذلك.

ثانياً: والدليل على هذا أن رسول الله – ﷺ – الذي قال «أقتلته بعدما قال: (لا إله إلا الله) » وقال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله» هو الذي قال في الخوارج: «أينما لقيتموهم فاقتلوهم لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد» مع كونهم من أكثر الناس عبادة وتهليلا وتسبيحا.

- حتى أن الصحابة يحقرون صلاتهم عندهم، وهم تعلموا العلم من الصحابة فلم تنفعهم (لا إله إلا الله)، ولا كثرة العبادة، ولا ادعاء الإسلام لما ظهر منهم مخالفة الشريعة.

ثالثاً: وكذلك ما ذكرناه من قتال اليهود، وقتال الصحابة بني حنيفة،

رابعاً: وكذلك أراد النبي – ﷺ – أن يغزو بني المصطلق لما أخبره رجل أنهم منعوا الزكاة حتى أنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ **[الحجرات: ٦]** وكان الرجل كاذبا عليهم. وكل هذا يدل على أن مراد النبي– ﷺ – في الأحاديث التي احتجوا بها ما ذكرناه.

(الشبهة الرابعة عشرة)!

ولهم شبهة أخرى على أن الاستغاثة بغير الله ليست شركا. وهو ما ذكر النبي– ﷺ – أن الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم ثم بنوح ثم بإبراهيم ثم بموسى ثم بعيسى فكلهم يعتذرون حتى ينتهوا إلى رسول الله – ﷺ –

والجواب:

أن نقول: سبحان من طبع على قلوب أعدائه. فإن الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه لا ننكرها. كما قال الله تعالى في قصة موسى: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ **[القصص: ١٥]** وكما يستغيث الإنسان بأصحابه في الحرب أو غيره في أشياء يقدر عليها المخلوق، ونحن أنكرنا استغاثة العبادة التي يفعلونها عند قبور الأولياء، أو في غيبتهم في الأشياء التي لا يقدر عليها إلا الله.

- إذا ثبت ذلك، فاستغاثتهم بالأنبياء يوم القيامة يريدون منهم أن يدعو الله أن يحاسب الناس حتى يستريح أهل الجنة من كرب الموقف. وهذا جائز في الدنيا والآخرة،

وذلك أن تأتي عند رجل صالح حي يجالسك ويسمع كلامك فتقول له: ادع الله لي كما كان أصحاب رسول الله – ﷺ – يسألونه ذلك في حياته. وأما بعد موته، فحاشا وكلا أنهم سألوه ذلك عند قبره، بل أنكر السلف الصالح على من قصد دعاء الله عند قبره، فكيف بدعائه نفسه.

(الشبهـة الخامسـة عشـرة !)

ولهم شبهة أخرى، وهي: قصة إبراهيم لما ألقي في النار اعترض له جبريل في الهواء، فقال له: ألك حاجة؟ فقال إبراهيم: أما إليك فلا. قالوا: فلو كانت الاستغاثة بجبريل شركا لم يعرضها على إبراهيم.

فالجـواب:

إن هذا من جنس الشبهة الأولى، فإن جبريل عرض عليه أن ينفعه بأمر يقدر عليه فإنه كما قال الله فيه ﴿شَدِيدُ الْقُوَى﴾ **[النجم: ٥]** فلو أذن الله له أن يأخذ نار إبراهيم وما حولها من الأرض والجبال ويلقيها في المشرق أو المغرب لفعل، ولو أمره أن يضع إبراهيم في مكان بعيد عنهم لفعل، ولو أمره أن يرفعه إلى السماء لفعل.

وهذا كرجل غني له مال كثير يرى رجلا محتاجا،

فيعرض عليه أن يقرضه أو أن يهبه شيئا يقضي به حاجته فيأبى ذلك الرجل المحتاج أن يأخذ ويصبر إلى أن يأتيه الله برزق لا منة فيه لأحد، فأين هذا من استغاثة العبادة والشرك لو كانوا يفقهون !

(خاتمـة الكتـاب)

ولنختم الكلام إن شاء الله تعالى بمسألة عظيمة مهمة تفهم مما تقدم، ولكن نفرد لها الكلام لعظم شأنها ولكثرة الغلط فيها.

فنقول: ﴿لا خلاف أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل،﴾

س: فإن اختل شيء من هذا؟

ج: لم يكن الرجل مسلما. فإن عرف التوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند كفرعون وإبليس وأمثالهما،

- وهذا يغلط فيه كثير من الناس، ويقولون هذا حق، ونحن نفهم هذا ونشهد أنه الحق، ولكنا لا نقدر أن نفعله، ولا يجوز عند أهل بلدنا إلا من وافقهم، أو غير ذلك من الأعذار،

ولم يدر المسكين أن غالب أئمة الكفر يعرفون الحق ولم يتركوه إلا لشيء من الأعذار قال تعالى: ﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ **[التوبة: ٩]** وغير ذلك من الآيات كقوله: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ **[البقرة: ١٤٦]**

س: فإن عمل بالتوحيد عملا ظاهراً وهو لا يفهمه أو لا يعتقده بقلبه؟

ج: فهو منافق، وهو شر من الكافر الخالص ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ **[النساء: ١٤٥]**

س: ما منزلة هذه المسألة في الدين؟

ج: هذه المسألة مسألة كبيرة طويلة تتبين لك إذا تأملتها في ألسنة الناس ترى من يعرف الحق ويترك العمل به لخوف نقص دنيا أو جاه أو مداراة لأحد. وترى من يعمل به ظاهرا لا باطنا، فإذا سألته عما يعتقد بقلبه فإذا هو لا يعرفه.

س: ما الذي يلزم علينا؟

ج: عليك بفهم آيتين من كتاب الله: أولاهما قوله تعالى: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ **[التوبة: ٦٦]**

فإذا تحققت أن بعض الصحابة الذين غزوا الروم مع الرسول – ﷺ – كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه المزح واللعب تبين لك أن الذي يتكلم بالكفر أو يعمل به خوفا من نقص مال أو جاه أو مداراة لأخذ أعظم ممن يتكلم بكلمة يمزح بها.

والآية الثانية قوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ – ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾ **[النحل: ١٠٦ – ١٠٧]**

فلم يعذر الله من هؤلاء إلا من أكره مع كون قلبه مطمئنا بالإيمان، وأما غير هذا فقد كفر بعد إيمانه، سواء فعله خوفا أو مداراة أو مشحة بوطنه، أو أهله، أو عشيرته أو ماله، أو فعله على وجه المزح، أو لغير ذلك من الأغراض إلا المكره،

فالآية تدل على هذا من جهتين:

الأولى قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾ **[النحل: ١٠٦]** فلم يستثن الله تعالى إلا المكره. ومعلوم أن الإنسان لا يكره إلا على الكلام أو الفعل. وأما عقيدة القلب فلا يكره عليها أحد.

والثانية: قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾ **[النحل: ١٠٧]** فصرح أن هذا الكفر والعذاب لم يكن بسبب الاعتقاد أو الجهل أو البغض للدين أو محبة الكفر، وإنما سببه أن له في ذلك حظا من حظوظ الدنيا فآثره على الدين. والله سبحانه وتعالى أعلم. وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

تم بحمد الله يوم السبت ١٨من شهر جمادى الثانية لعام ١٤٣٢هـ

دار الحديث بمعبر حرسها الله

قوله: (فَاحْذَرُوهُمْ")

فيه نهي عنهم، يقول النووي في كتابه [المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج]: (فيه دلالة على أنه يجب الحذر من أهل الشِّرْك وأهل البدعة والهوى، فلا يجابون ولا يجادلون إلا إِذَا أرادوا الحق وظهر ذلك من قولهم وحالهم فإجابتهم واجبة). فائدة تتعلق بمجادلة أهل الإشراك والبدعة والهوى

وهاهنا فائدة، حَيْثُ إن مجادلة أهل الإشراك والبدعة والهوى يكتنفه أصلان:

أما الأصل الأول:

فهو التحذير من مجادلتهم، والنهي عن المجالسة معهم، والخوض مع شبهاتهم التي يسمونها براهين وحججاً ؛ ذلك لأن الجلوس معهم والعكوف وإياهم على شُبَه يذكرونها يجادلون فيها له مفاسد:

أولها:

أنه ربما وقعت بعض شبههم في القلب، فَرَسَبَتْ ولم تخرج فَيَضِل الإنسان.

وثانيها:

أنه ربما شُهِّر باطلهم لأنهم قد جودلوا، قال الإمام اللالكائي[نَتَائِجُ مُنَاظَرَةِ الْمُبْتَدِعَةِ]

فَمَا جُنِيَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ جِنَايَةٌ أَعْظَمُ مِنْ مُنَاظَرَةِ الْمُبْتَدِعَةِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ قَهْرٌ وَلَا ذُلٌّ أَعْظَمَ مِمَّا تَرَكَهُمُ السَّلَفُ عَلَى تِلْكَ الْجُمْلَةِ يَمُوتُونَ مِنَ الْغَيْظِ كَمَدًا وَدَرَدًا، وَلَا يَجِدُونَ إِلَى إِظْهَارِ بِدْعَتِهِمْ سَبِيلًا، حَتَّى جَاءَ الْمَغْرُورُونَ فَفَتَحُوا لَهُمْ إِلَيْهَا طَرِيقًا، وَصَارُوا لَهُمْ إِلَى هَلَاكِ الْإِسْلَامِ دَلِيلًا، حَتَّى كَثُرَتْ بَيْنَهُمُ الْمُشَاجَرَةُ، وَظَهَرَتْ دَعْوَتُهُمْ بِالْمُنَاظَرَةِ، وَطَرَقَتْ أَسْمَاعَ مَنْ لَمْ يَكُنْ عَرَفَهَا مِنَ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ، حَتَّى تَقَابَلَتِ الشُّبَهُ فِي الْحُجَجِ، وَبَلَغُوا مِنَ التَّدْقِيقِ فِي اللُّجَجِ، فَصَارُوا أَقْرَانًا وَأَخْدَانًا، وَعَلَى الْمُدَاهَنَةِ خِلَّانًا وَإِخْوَانًا، بَعْدَ أَنْ كَانُوا فِي اللَّهِ أَعْدَاءً وَأَضْدَادًا، وَفِي الْهِجْرَةِ فِي اللَّهِ أَعْوَانًا، يُكَفِّرُونَهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ عِيَانًا، وَيَلْعَنُونَهُمْ جِهَارًا، وَشَتَّانَ مَا بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ، وَهَيْهَاتَ مَا بَيْنَ الْمَقَامَيْنِ.

نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَحْفَظَنَا مِنَ الْفِتْنَةِ فِي أَدْيَانِنَا، وَأَنْ يُمَسِّكَنَا بِالْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ، وَيَعْصِمَنَا بِهِمَا بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ.[شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١/ ١٩]

وأخرج ابن بطة في [الإبانة الكبرى] عن ابن عباس – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا – أنه قال: "إن التكذيب بالقدر شرك فُتح على أهل ضلالة، فلا تجادلوهم فَيَجْري شركُهُم على أيديكم ". الدلائل والإشارات على كشف الشبهات (ص: ٨٤)

وإذا أردت الاستقامة على الحق وطريق أهل السنة قبلك فاحذر الكلام، وأصحاب الكلام، والجدال والمراء، والقياس، والمناظرة في الدين، فإن [استماعك] منهم - وإن لم تقبل منهم - يقدح الشك في القلب، وكفى به قبولا [فتهلك]، وما كانت زندقة قط، ولا بدعة، ولا هوى، ولا ضلالة، إلا من الكلام، والجدال، والمراء، والقياس، [وهي] أبواب البدعة، والشكوك والزندقة.[شرح السنة للبربهاري ص: ١٢٤]

[١٤٦] وإذا سألك أحد عن مسألة في هذا الكتاب، وهو [مسترشد] فكلمه، وأرشده، وإذا جاءك يناظرك، فاحذره، فإن فيالمناظرة: [المراء]، والجدال، والمغالبة، والخصومة، والغضب، وقد نهيت عن هذا جدا، بخرجان جميعا من طريق الحق، ولم يبلغنا عن أحد من فقهائنا، وعلمائنا أنه ناظر أو جادل أو خاصم.

[١٤٧] قال الحسن: الحكيم لا يماري ولا يداري، حكمته ينشرها، إن قبلت حمد الله، وإن ردت حمد الله.

وجاء رجل إلى الحسن فقال له: أناظرك في الدين؟ فقالالحسن: أنا عرفت ديني، فإن ضل دينك فاذهب فاطلبه.

وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما على باب حجرته، يقول أحدهم: ألم يقل الله كذا؟ ويقول الآخر: ألم يقل [الله] كذا؟ فخرج مغضبا، فقال: «أبهذا أمرتم؟ أم بهذا بعثت إليكم؟ أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض؟» فنهى عن الجدال.

وكان ابن عمر يكره المناظرة، ومالك بن أنس، ومن فوقه، ومن دونه إلى يومنا هذا، وقول الله أكبر من قول الخلق، قال الله تبارك وتعالى: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾. وقال عبد الله بن المبارك: أصل اثنين وسبعين هوى: أربعة

أهواء، فمن هذه الأربعة الأهواء انشعبت [الاثنان] وسبعون هوى: القدرية، والمرجئة، والشيعة، والخوارج.

فمن قدم أبا بكر وعمر وعثمان [وعليا] على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يتكلم في الباقين إلا بخير، ودعا لهم، فقد خرج من التشيع أوله وآخره.

ومن قال: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، فقد خرج من الإرجاء كله أوله وآخره.

ومن قال: الصلاة خلف كل بر وفاجر، والجهاد مع كل خليفة، ولم ير الخروج على السلطان بالسيف، ودعا لهم بالصلاح، فقد خرج من قول الخوارج أوله وآخره.

ومن قال: المقادير كلها [من] الله خيرها وشرها، يضل من يشاء، ويهدي من يشاء، فقد خرج من قول القدرية، أوله وآخره، وهو صاحب سنة. [شرح السنة للبربهاري ص: ١٢٥]

الأسـئلة النافعـــات لتقـــريب كشـــف الشبهـــات

تأليف الامام المجدد: محمد بن عبد الوهاب النجدي

إعداد وتقريب: وليد بن محمد الغريبي

مسجد السنة بالراهدة